

## آيات أهل القرى في القرآن الكريم - دراسة موضوعية -

أ.م.د. سعدي حسين علي

### المقدمة :

الحمد لله رب العلمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، ومن استن بسنته ، وسار على هديه ومنهجه الى يوم الدين .  
أما بعد :

فإن أفضل ما يتعض به الإنسان من عبر ومواقف ليصلح بها حاله ، ويعود بها تائباً الى ربه ، منكسراً قلبه ، خاشعاً جوارحه ، راغباً وطامعاً في رضى ربه ، هو معرفة أحوال الأمم الماضية ، وما ورد من أخبارهم ، من خلال ما جاء ذكرها في القرآن الكريم بقصص تضمنتها بعض السور والآيات مجملة ، وأخرى مفصلة ، أو اشارات لبعض الأماكن التي لها دلالات وحكم لوقوع تلك الأحداث بها والقصص ، والتي كان لها ارتباطا وثيقا بقضية الإيمان بالله من عدمه ، وما جرى لتلك الأمم في الأماكن التي كانوا يسكنونها ، فجاء ذكر الله تعالى لبعض الأماكن صراحة كإرم ووادي ثمود ، فقال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) }<sup>(١)</sup> ، وذكر سبأ ، فقال تعالى : { وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ }<sup>(٢)</sup> وغيرها ، وجاء ذكر البعض الآخر

(١) سورة الفجر : ٦-٩ .

(٢) سورة النمل : ٢٢ .

إشارة لاصراحة كمجمع البحرين الذي لم يحدد مكانه في القرآن الكريم فقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَّاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا }<sup>(١)</sup> ، وأصحاب القرية إذ قال تعالى : { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ }<sup>(٢)</sup> ، وأهل القرى ، وغيرها ، ولابد لهذا التقسيم من حكمة ارادها الله سبحانه. ومن هذه الآيات التي ذكرت الأماكن في القرآن الكريم دون ذكر اسمائها صراحة ، هي الآيات التي تحدثت عن أهل القرى ، ولمعرفة هذه القرى وأحوال أهلها ومآلهم ، وبعد التوكل على الله اخترت الكتابة في هذه الآيات ببحث أسميته : ( آيات أهل القرى في القرآن الكريم - دراسة موضوعية - ) .

وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه على :

### المقدمة

### التمهيد

### وخمسة مباحث:

المبحث الأول : الترغيب في ايمان أهل القرى وتحذيرهم من بأس الله

المبحث الثاني: فذكرت فيه أن : الأنبياء من أهل القرى وليسوا من البوادي

المبحث الثالث: بيان أن الظلم سبب لأهلاك القرية

المبحث الرابع : امتناع أهل القرية من إطعام الضيوف

المبحث الخامس: تقسيم غنائم أهل القرى

الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الخاتم الأمين

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الكهف: ٦٠

(٢) سورة يس: ١٣

## التمهيد :

وتضمن التعريفات اللغوية ، والإصطلاحية ، والألفاظ ذات الصلة :

### • تعريف أهل القرى لغة واصطلاحاً :

يتكون هذا العنوان من مضاف ومضاف اليه ، وحتى نعرف المعنى المراد

منهما ، وجب علينا أن نضع تعريفا منفردا لكلا الكلمتين :

أولاً : الأهل لغة :

فالأهل: ( جمع الأهل أَهْلُونَ. والأهالي جماعة الجماعة )<sup>(١)</sup>.

وفي لسان العرب : الجمع أَهْلُونَ وَأَهَالٌ وَأَهَالٍ وَأَهْلَاتٍ وَأَهْلَات ، وأَهْل الرجل

عَشِيرَتُهُ وَدَوُو قُرْبَاه <sup>(٢)</sup>. و( يقال: مكان آهل إذا كان فيه جماعة ) <sup>(٣)</sup> .

ولفظ الاهل يكون من جهتين : الأولى من جهة النسب ، والثانية من جهة

الاختصاص ، فمن جهة النسب قولك : أهل الرجل لقربته الادنين، ومن جهة

الاختصاص قولك : أهل البصرة وأهل العلم<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م : ١٥٢/١ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، دار صادر - بيروت : ٢٨/١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م : ٨١/ ١٦ .

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر : ٨٤ .

## ثانيا : الأهل اصطلاحا :

الأهل القرابة والآل من يؤول إليك في قرابة أو رأى أو مذهب كَانَ لَهَا تَابِعٌ أَوْ  
لم يكن<sup>(١)</sup>.

## ثالثا : القرى لغة :

القرى جمع قرية ، و(الْقَرْيَةُ : الْمَصْرُ الْجَامِعُ وَالنَّسَبَةُ : قَرْنِيٌّ وَقَرَوِيٌّ : قُرَى.  
وَأَقْرَى : لَزِمَهَا . وَالْقَارِي : سَاكِنُهَا . وَالْقَرِيَّتَيْنِ مُتْنَى وَأَكْثَرُ مَا يُتَلَفَّظُ بِهِ بِالْيَاءِ ) (٢) .

## رابعا : القرى اصطلاحا :

بما أَنَّ القرى جمع قرية ، فَإِنَّ القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس ،  
وللناس جميعا ، وهي أيضا كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذها الناس قرارا ، ويقع  
على المدن وغيرها<sup>(٣)</sup>.

و( يقال لكل مدينة قرية، وإنما سُمِّيَتْ بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قرية الماء  
في الحوض إذا جمعت فيه، فسُمِّيَتْ قريةً لاجتماع الناس فيها ، ومكة أم القرى، لأن  
أهل القرى يؤمنونها أي يقصدونها )<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء  
الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت : ٢١٠/١ .  
(٢) القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) تحقيق: مكتب تحقيق  
التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت  
- لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م : ١٧٠٦

(٣) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار  
الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠ هـ : ٥٨١/١ ، وينظر : المصباح المنير في  
غريب الشرح الكبير ، للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية - بيروت : ٥٠١/٢ .  
(٤) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، (ت: ٣١١ هـ) ، عالم الكتب -  
بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : ٢٥٩/٢ .

#### خامسا : تعريف أهل القرى من المضاف والمضاف اليه :

هي المجمّعات السكنية يعيش فيه الناس على اختلاف اجناسهم، وألوانهم، ولو كانت من المدن الكبرى (١).

#### • الألفاظ ذات الصلة :

أولاً : الآل : ( الآل أهل الشخص ، وهم ذوو قرابته ، وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع ) (٢).

ثانياً : أهل المدر : واحدة المدر . والعرب تسمى القرية مدرّة ، وهي التي تبنى من الطين والعلك الذي لا يخالطه رمل ، ويسمى أهل المدر : أهل القرى (٣).

ثالثاً : أهل الكفر : أهل القرية. إذ جاء في الحديث : ( لتخرجنكم الروم منها كَفَرًا كَفَرًا ) (٤) أي قريةً قريةً ، والذي يتكلم بهذا أهل الشام يسمون القرية كَفَرًا ولهذا قالوا كَفَرْتوتا ، وغيرها (٥).

(١) ينظر: البلاغة العربية عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق،  
الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م : ٢٥١.

(٢) المصباح المنير : ٢٩ / ١ .

(٣) ينظر :الصاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) ،  
أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م : ٣ / ٣٧٦ ،  
والمصباح المنير: ٥٦٦/٢ ، و تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق  
الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الرّبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية  
٥٤٨/١٠ .

(٤) غريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي،  
بيروت ، ط١ ، ١٣٩٦ هـ : ٤ / ١٩٠ ، و كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي  
الهندي : ٢٤٥ / ١١ .

(٥) ينظر : غريب الحديث لابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن  
حمادي بن أحمد بن جعفر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، تحقيق : د. عبدالمعطي أمين  
قلعجي : ٢ / ٢٩٥ ، والمصباح المنير : ١ / ٢٩

رابعاً : أهل الفُسطاط : أي أهل المدينة ، إذ جاء في الحديث : ( عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط ) <sup>(١)</sup> ويريد بذلك أهل المدينة ، التي هي مجتمع الناس ، وكل مدينة فُسطاط <sup>(٢)</sup> .

خامساً : أهل المصر : ( كل بلد عَظِيم فَهُوَ مِصرٌ نَحْوُ البَصْرَةِ وبغداد والكوفة، وَالْجَمْعُ أَمْصَارٌ ) <sup>(٣)</sup> . وكل بلد محدود يسمى ممصور ، والمصر المدينة أو القرية ، وأهل المصر هم أهل المدينة أو أهل القرية ، والمصر في عرف الحنفية ما لا يسع أكبر مساجده أهله <sup>(٤)</sup> .

ونقل صاحب اللسان عن غيره ، ( أن المِصرَ في كَلَامِ العَرَبِ هو : كُلُّ كُورَةٍ تُقَامُ فِيهَا الحُدُودُ وَيُقَسَّمُ فِيهَا الفِئَةُ والصدقاتُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ لِلْخَلِيفَةِ . وَكَانَ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَصْرَ الْأَمْصَارِ مِنْهَا البَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ ) <sup>(٥)</sup> .  
فأهل القرى هم كل من سكن مدينة وعاش فيها ، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين .

(١) غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧ : ٣١٨/١ .

(٢) ينظر لسان العرب : ٣٧١/٧ .

(٣) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ( ت ٣٢١هـ ) ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م : ٧٤٤ / ٢ .

(٤) ينظر : التعاريف : ٦٥٩ .

(٥) لسان العرب : ١٧٦ / ٥ .

## المبحث الأول

### الترغيب في إيمان أهل القرى وتحذيرهم من بأس الله.

قال تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ { (الأعراف: ٩٨) هذه الآية موعظة واعتبار لامة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - تتكلم عن أولئك القوم الذين سكنوا القرى وعبدوا آلهة غير الله ، وجاءتهم دعوة الأنبياء والرسول -عليهم السلام - ليوحّدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، ولكنهم لم يؤمنوا بها وأصروا على ما هم عليه من الشرك والوثنية ، ولذلك نزل قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا } أي : ولو أن أهل القرى وحدوا الله تعالى وآمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل ، وَصَدَّقَتْ بِهِ وَاتَّبَعَتْهُ ، وَاتَّقَوْا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرَكِ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الشَّرِكِ وَغَيْرِهِ { لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }<sup>(١)</sup> ومعنى {فتحنا} فيه وجهان : الأول : لرزقنا ، أي أنزلنا عليهم من السماء المطر الذي يأتي بالرزق والنبات من الأرض ، ورفع القحط والجذب عنهم ، والثاني: لوسعنا {بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} : فبركات السماء: القطر. وبركات الأرض. النبات والثمار ويحتمل، أن تكون بركات السماء قبول الدعاء، وبركات الأرض: تسهيل الحاجات، وهذا هو رزق الله والتوسعة فيه ، و{ البركات } هي البركة في الرزق ، ومعنى البركة : المواظبة على الشيء. يقال: بارك فلان على فلان، أي: واظب عليه، وهي الزيادة في الخير ونماؤه، وَالْمَقْصُودُ مِنْ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م : ٤٥٣/٣.

الْجَمْعِ تَعَدُّهَا، بِاعْتِبَارِ تَعَدُّ أَصْنَافِ الْأَشْيَاءِ الْمُبَارَكَةِ، ومعنى: {بَرَكَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ} أي: ما يتتابع من خير السماء والأرض<sup>(١)</sup>.

وفتح البركات عليهم هو: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قوله تعالى: {وَلَكِنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فَآخَذْنَاهُمْ} ؛ أي ولأنهم كذبوا الرسل عاقبناهم {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بالهلاك على ما كسبوا من الشرك ، أو المآثم والمحارم، ثم إنَّه تعالى أعاد التَّهْدِيدَ مخوفاً ومحذرا من يخالف أوامره ، والتجروء على زواجه بعذاب الاستئصال فقال: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى} يعني مكَّة وما حولها ، أو القرى الكافرة {أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} عذابنا ونكالنا ، وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي خَوْفُهُمُ الله - تعالى - بنزول العذاب عليهم في وقت غَفَلَتِهِمْ وهو حال النَّوْمِ اللَّيْلِ {بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ} ، وحال الضُّحَى بالنَّهَارِ بقوله تعالى: {أَوْأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ

(١) ينظر : بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) : ١ / ٥٣٥ ، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ات : ٤٣٧هـ) ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د. : الشاهد البوشيخي ، جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : ٤ / ٢٤٦٩ . والنكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان : ٢٤٣/٢ ، وينظر : التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤هـ : ٩ / ٢١ .

(٢) ينظر : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٠٧ هـ : ١٣٣/٢ .



يَلْعَبُونَ } ؛ لَأَنَّهُ وَقْتُ الْغَفْلَةِ وَاشْتَغَالِ الْمَرْءِ بِالذَّاتِ { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ } أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم ، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم <sup>(١)</sup> .

وإن إنعام الله عليهم في دنياهم من الصحة والرخاء هو استدراج لهم ، فليس يأمن استدراج الله {إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} ، أي: الهالكون { فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } أي الذين خسروا أنفسهم فاضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها <sup>(٢)</sup> ؛ ولهذا قال الحسن البصري، رحمه الله : (المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِقٌ وَجَلْ خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن) <sup>(٣)</sup> .

واستدلّت الحنفية بالآية على أن الأمن من مكر الله تعالى والانغماس في المعاصي إتكالاً على عفو الله تعالى كفر . وهو شبيه باليأس من رحمة الله تعالى في قوله تعالى : {إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [ يوسف : ٨٧ ] ، وذهبت الشافعية إلى أنهما من الكبائر لتصريح ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إذ قال : (الكبائر الإشراف بالله تعالى ، والأمن من مكر الله ، و القنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ) <sup>(٤)</sup> ، وهذا أكبر الكبائر وقيل : أن ذلك كفر محمول على التغليظ وآية لا ييأس الخ كقوله تعالى : { الزانية لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ } [ النور : ٣ ] و{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ} [المجادلة : ٢٢] في قول . وقال بعض المحققين: إن كان في الأمن اعتقاد أن الله تعالى لا يقدر على الانتقام منه، وكذا إذا كان في اليأس اعتقاد عدم القدرة على الرحمة والاحسان، أو نحو

(١) ينظر : الباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني

(ت: ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية -

بيروت / لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ : ٢٣٥/٩ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣ / ٤٥١ .

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية : ٤ / ٢٤٧١ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب

الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي : ٢٨٠/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٤٥١ .

(٤) شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب

العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ : ٢٠/٢ .

ذلك، فذلك مما لا ريب في أنه كفر، وإن خلا عن نحو هذا الاعتقاد ولم يكن فيه تهاون وعدم مبالاة بالله تعالى فذلك كبيرة، والله أعلم بالصواب <sup>(١)</sup>.  
وفي الآية دليل أن الكفاية والسعة في الرزق من السعادة إذا كان الانسان شاكرا  
لأنعم الله <sup>(٢)</sup>.

وفيها إفادة ودلالة على قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل، كقوله تعالى: {قُلْ لَّوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمٌ يُّؤْتَسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يونس: ٩٨] <sup>(٣)</sup>  
(وكل مقدور، والثواب والعقاب متعلق بكسب البشر، وبسببه استتدت الأفعال إليهم في قوله: آمَنُوا وَاتَّقُوا) <sup>(٤)</sup> وفي الآية إشارة الى الذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبدية بحتة، لا صلة لها بواقع الناس في الأرض، فهؤلاء لا يعرفون الإيمان ولا يعرفون الحياة! وما أجدرهم أن ينظروا هذه الصلة قائمة يشهد بها الله - سبحانه - وكفى بالله شهيدا <sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : روح المعاني للألوسي : ٦ / ٢٨٠.

(٢) ينظر : بحر العلوم : ١ / ٣٥٣.

(٣) ينظر : محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١، ١٤١٨ هـ : ٥ / ١٥٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ : ٢ / ٤٣٢، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ : ٥ / ١١٩.

(٥) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق - بيروت - القاهرة ، ط ١٧ - ١٤١٢ هـ : ٣ / ١٣٣٩.

## المبحث الثاني

### الأنبياء من أهل القرى.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يوسف: ١٠٩]

وسبب نزول {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} هو ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه - : أن الله، جلّ ذكره، لما بعث محمداً رسولاً أنكر جماعة من العرب ذلك، وقالوا : إن الله أعظم من أن يبعث بشراً رسولاً. فأنزل الله (عز وجل) : {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} [يونس : ٢]، ونزل {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} [يوسف: ١٠٩] ، ومعنى : {وَمَا أَرْسَلْنَا} أي يَا مُحَمَّدُ {مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا} أي لَا نِسَاءَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا جِنًّا ، وانما كانوا من الآدميين الرجال ، وهذا لا ينافي إرسال جبريل عليه السّلام إلى مريم ؛ لأن إرساله اليها إمّا أَنْ يَكُونَ كرامة لها وهذا على مذهب من يجوز كرامات الأولياء ، أو هو من الإرهاصات التي وقعت لعيسى - عليه السلام - أو هو معجزة لزكريا - عليه السلام - ، وقيل غير ذلك : وهو ان الذي حدث مع مريم - عليها السلام - كان على سبيل النفث في الروح ، أو الإلهام ، أو الإلقاء في القلب ، كما كان في حق أمّ موسى - عليه السلام - في قوله تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} ، وقوله تعالى : {مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} يعني من أهل الأمصار ، أو المدن دون أهل البوادي ، لِأَنَّ أَهْلَ الْأَمْصَارِ أَعْقَلُ وَأَحْلَمُ ، وَأَفْضَلُ وَأَعْلَمُ ، وقيل : إنّما لم يبعث من أهل البوادي لِغِلْظِهِمْ وَجَفَائِهِمْ وقسوتهم (١) .

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

وجاء في تفسير القرطبي: ( مِنْ شَرَطِ الرَّسُولِ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا آدَمِيًّا مَدَنِيًّا، وَإِنَّمَا قَالُوا آدَمِيًّا تَحَرُّرًا، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ} الجن: ٦ ، والله أعلم<sup>(١)</sup>).

وفي ظلال القرآن : ( لم يكونوا ملائكة ولا خلقاً آخر. إنما كانوا بشرا مثلك من أهل الحاضرة ، لا من أهل البادية، ليكونوا أرق حاشية وألين جانباً.. وأصبر على احتمال تكاليف الدعوة والهداية، فرسالتك ماضية على سنة الله في إرسال رجال من البشر نوحى إليهم )<sup>(٢)</sup> .

وهذه الآية ردُّ على من أنكر نبوته- صلى الله عليه وسلم - وجواب لأهل مكة إذ قالوا : هلا بعث الله ملكا ، والمعنى كيف يكون ذلك ؟ فتعجبوا من إرسالنا إياك يا محمد ، وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك من أهل القرى، يعني من أهل الأمصار والمدن لا من أهل البوادي ، ويريد بها : إنَّ الرُّسل من قبلك كانوا على مثل حالك ، ومن قبلهم من الأمم كانوا على مثل حالهم ، فدعوا من أرسلنا إليهم ، فكذبوهم وحاربوهم ، وردُّوا الدعوة التي أتوا بها من عند الله ، فأهلكناهم إذ جحدوا جواز بعثة الرسول أصلا، أو أنهم استكبروا أن يبعث بشرا رسولا<sup>(٣)</sup> .

والإعلان ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م : ١٣ / ٣٧٩-٣٨٠ ، والهداية الى بلوغ النهاية : ٥ / ٣٢١٠ ، والنكت والعيون : ٣ / ٨٨ ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ : ٢ / ٥١٨ ، ومفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ : ٨ / ٢١٧ .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٧٤ .

(٢) في ظلال القرآن : ٤ / ٢٠٣٥ .

(٣) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٨٨ ، ولطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، ط٣ : ٢ / ٢١٣ ، والوجيز

ولما كان الاعتبار بأحوال من سلف للنجاة مما حل بهم أهم المهم، اعترض بالحث عليه بين الغاية ومتعلقها، فقال: {أفلم يسيروا} أي يوقع السير هؤلاء المكذبون {في الأرض} أي في هذا الجنس الصادق بالقليل والكثير. ولما كان المراد سير الاعتبار سبب عنه قوله {فينظروا} أي عقب سيرهم وبسببه، ونبه على أن ذلك أمر عظيم ينبغي الاهتمام بالسؤال عنه بذكر أداة الاستفهام فقال {كيف كان عاقبة} أي آخر أمر {الذين} ولما كان الذين يعتبر بحالهم - لما حل بهم من الأمور العظام - في بعض الأزمنة الماضية، وكان المخاطبون بهذا القرآن لا يمكنهم الإحاطة بأهل الأرض وإن كان في حال كل منهم عظه، أتى بالجار فقال: {من قبلهم} في الرضى بأهوائهم في تقليد آبائهم، ثم أمرهم بالاستدلال والتفكير والاعتبار والنظر فقال: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا} إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بهم، ويتدبروا سنن الله في الغابرين، {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ} يعني: بالدار الجنّة، وبالأخرة القيامة، فسمى الجنة داراً وإن كانت النار داراً؛ لأن الجنة وطن اختيار، والنار مسكن اضطرار، {خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} للذين خافوا الله فلم يشركوا به، ولم يعصوه في الدنيا {أفلا تعقلون} فتؤثروا المتاع الباقي على المتاع القصير الفاني؟ (١).

في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ: ٥٦٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ: ٢ / ٥٦٠، وفي ظلال القرآن: ٤ / ٢٠٣٥.

(١) ينظر: النكت والعيون: ٣ / ٨٨، ولطائف الإشارات: ٢ / ٢١٣، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ: ٥٦٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٢ / ٥٦٠، وفي ظلال القرآن: ٤ / ٢٠٣٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ١٠ / ٢٥٢.

وفي الآية تضمين أن الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعوا أممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلاث، فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته<sup>(١)</sup>.

وفيها إشارة الى أن المدن مواضع الحكمة، والبوادي مواطن لظهور الكلمة، ولما كانت مكة أو أم القرى مدينة، وهي مع ذلك في بلاد البادية، جمعت الأمرين وفازت بالأثرين، لأجل أن المرسل إليها جامع لكل ما تفرق في غيره من المرسلين، وخاتم لجميع النبيين - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا} دلالة على أنه تعالى يغضب ممن أعرض عن تدبر آياته ، ولم يدرك معانيها بالعين أو القلب<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣ / ٢٨٧.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٠ / ٢٤٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠ / ٢٥٣.

### المبحث الثالث

#### الظلم سبب لأهلاك القرية .

في هذه الآية التي سنتكلم عنها يبين الله - سبحانه وتعالى - أن الظلم أو من يرتكبه يؤدي به الى الهلاك ، وقبل الخوض في بيان تفسيرها سنعرف الظلم والهلاك : فالظلم : أصله وضع الشئ في غير موضعه<sup>(١)</sup>.

( وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد )<sup>(٢)</sup>.

أما الإهلاك فهو: الإذهاب بالشيء إلى ما لا يقع عليه الإحساس<sup>(٣)</sup>، بسبب { إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ } أي: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى : { وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ } (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) ، (العنكبوت: ٣١-٣٤) جاءت هذه الآية الكريمة في سياق قصة نبي الله لوط - عليه السلام - وما جرى بينه وبين قومه الذين كانوا يعملون الفواحش ، ويأتون في ناديهم المنكر ، وهو يدعوهم الى ترك ما يفعلونه ، ويذكرهم بعذاب الله ،

(١) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٥ / ١٩٧٧ .

(٢) التعريفات : ١٤٤ .

(٣) ينظر : تفسير ابن فورك : ١ / ٣٩١ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ٢٠ / ٣١

قال تعالى : { وَلَوْطاً } يعني: وأرسلنا لوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ { وهي إيتان الذكور دون النساء { مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) } أي: لم يتقدمكم أحد إلى إتيان مثل هذا الفعل { إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ } أي: تأتون الرجال في أدبارهم { وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ } روي أنهم كانوا - مع فسقهم - يقطعون الطريق ويقتلون ويأخذون الأموال حتى انقطعت الطريق فلا يسلكها أحد <sup>(١)</sup>. { وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } أي : الضراط، كانوا يتضارطون في مجالسهم، أو كانوا يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم <sup>(٢)</sup>. والنادي : المجلس أو المكان الذي يجتمع فيه الناس وهو اسم جنس لأن الأندية في المدن كثيرة فكأنه قال وتأتون في اجتماعكم حيث اجتمعتم <sup>(٣)</sup>. وعن الصحابة الجليلة أم هانئ أنها سألت رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ عن قوله تعالى : { وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } ؟ قائلة : ما المنكر الذي كانوا يأتون ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ( كانوا يخدفون أهل الطريق ويسخرون بهم ) <sup>(٤)</sup>، ( ويروى أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فإذا مرّ بهم عابر سبيل خدّفوه فأبهم أصابه كان أولى به ) <sup>(٥)</sup>، وقيل : كَانُوا يُنَاطِحُونَ بَيْنَ الْكِبَاشِ، وَيُنَاقِرُونَ

(١) ينظر : بحر العلوم : ٢ / ٦٣٢ .

(٢) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٧ / ٢٧٨ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤ / ٣١٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م : ٣٨١/٤٥ ، وسنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٩٨ م : ١٩٥/٥ . وقال عنه : حديث حسن ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ عَنْ سِمَاكِ .

(٥) شرح مسند أبي حنيفة ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ) ، تحقيق: الشيخ خليل محيي الدين الميس ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م :



بَيْنَ الدُّيُوكِ، أو يمارسون لعب الحمام ، وتطريف الأصابع بالحناء ، والصفير ونبذ الحياء في جميع أمورهم وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَكَانُوا شَرًّا مِنْ ذَلِكَ<sup>(١)</sup> .

( ولما كان التقدير: فاستجبنا له فأرسلنا رسلنا بشرى لعمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولإهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام، تحقيقاً لانتقامنا من المجرمين ، وإنعامنا على الصالحين، ولابتلائنا لمن نريد من عبادنا حيث جعلنا النذارة مقارنة للبشارة، عطف عليه قوله: {ولما جاءت} وأسقط «أن» لأنه لم يتصل المقول بأول المجيء بل كان قبله السلام والإضافة ؛ وعظم الرسل بقوله : {رسلنا} أي من الملائكة تعظيماً لهم في أنفسهم )<sup>(٢)</sup> .

فجاءتهم البشرى التي هي البيان عما يظهر سروره في بشرة الوجه ، لأن الأغلب فيه؛ أنه يستعمل فيما يسر به ؛ ولذلك قال: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب {قَالُوا إِنَّا مَهْلُكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} يقول: قالت رسل الله من الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، أي قرية سدوم<sup>(٣)</sup> ، التي يسكنها قوم لوط<sup>(٤)</sup> .

ولما كان السامع يتشوف إلى معرفة ما كان بعد ذلك، ولاسيما أن الخليل عليه السلام أحس بخطر المقام بهذا التلويح على نبي الله لوط، {قال} مؤكداً تنبيهاً على جلالة ابن أخيه، وإعلاماً بشدة اهتمامه به، وأنه ليس ممن يستحق الهلاك، ليعلم ما

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦ / ٢٧٦ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤ / ٤٢٩ .

(٣) وهي قرية قوم لوط. وتقع بين الحجاز والشام. كانت أحسن بلاد الله وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً، والآن عبرة للناظرين. وتسمى الأرض المقلوبة لا زرع بها ولا ضرع ولا حشيش، وبقيت بقعة سوداء فرشت فيها حجارة. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ) دار صادر - بيروت: ٢٠٢/١ - ٢٠٣ .

(٤) ينظر: جامع البيان: ٢٠ / ٣١ ، وتفسير ابن فورك: ١ / ٣٩١ .

يقولون في حقه، لأن الحال جد، فهو جدير بالاختصار: {إن فيها لوطاً} دون منهم، أنه نزل تدرجاً إلى التصريح بالسؤال فيه، وسؤالاً في الدفع عنهم بكونه فيهم، لأنه بعيد عما علّلوا به الإهلاك من الظلم، {قالوا} أي الرسل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: {نحن أعلم} أي منك {بمن فيها} أي من لوط وغيره<sup>(١)</sup>.

ولما كان كلامهم محتملاً للأنجاء والإرداء، صرحوا بقولهم على سبيل التأكيد، لأن إنجاءه من بينهم جدير بالاستبعاد: {لننجينه} أي إنجاءاً عظيماً {وأهله} ولما أفهم هذا استثنوا امرأته ليكون ذلك أنص على إنجاء غيرها من جميع أهله فقالوا: {إلا امرأته} فكأنه قيل: فما حالها؟ فقيل: {كانت} أي جبلة وطبعاً {من الغابرين} أي الباقين في الأرض المدمرة والجماعة الفجرة أو من الباقين في العذاب، أو ممن عمر وبقي من الناس<sup>(٢)</sup>.

وحينما جاء الرسل في قوله تعالى: {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} (٣٣)

أي {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا} من الملائكة {سِيءَ بِهِمْ} يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تضيّفوه، فسأوه بذلك، فقوله: {سِيءَ بِهِمْ}: فَعَلَ بِهِمْ مِنْ سَاءِهِ بِذَلِكَ. {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} يقول: وضاق ذرعه بضيافتهم، أي ضاق صدره بِمَجِيئِهِمْ وَكَرِهَهُ. وَقِيلَ: ضَاقَ وَسَعُهُ وَطَاقَتْهُ، وهو استِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ<sup>(٣)</sup> لِحَالِ مَنْ لَمْ يَجِدْ

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤ / ٣١٥

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٤ / ٤٢٩. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤ / ٣١٦.

(٣) ( هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ) . المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث: ٣ / ٣٠٩.

حِيلَةً فِي أَمْرٍ يُرِيدُ عِلْمَهُ ، لَظَنَّهُ أَنَّهُمْ مِنَ الْإِنْسِ ، وَلِذَلِكَ {سَيَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ} ، بِمَجِيئِهِمْ دَرْعًا لَمَّا عِلْمٌ مِنْ خُبْرٍ فَعَلَ قَوْمَهُ وَشَرَّهُمْ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ جَوَابُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ} أَيِ قَالَتِ الرِّسْلُ لِلْوُطْ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : لَا تَخَفْ عَلَيْنَا لَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا قَوْمُكَ ، وَلَا تَحْزَنْ مِمَّا أَخْبَرْنَاكَ مِنْ أَنَّا مَهْلُكُوهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرِّسْلُ قَالَتْ لَهُ : {يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} <sup>(١)</sup> ، {إِنَّا مُنْجُوكَ} مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِقَوْمِكَ {وَأَهْلَكَ} يَقُولُ : وَمَنْجُو أَهْلِكَ مَعَكَ {إِلَّا أَمْرَاتُكَ} فَإِنَّهَا هَالِكَةٌ فَيَمُنْ يَهْلِكُ مِنْ قَوْمِهَا ، كَانَتْ مِنَ الْبَاقِيْنَ الَّذِينَ طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ <sup>(٢)</sup> .

ولما كان وقوع العذاب لامحالة على أهل سدوم بين الله سبحانه وتعالى نوع هذا العذاب بقوله { إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (٣٤)

والرجز: هو العذاب، من قولهم: ارتجز المعذب إذا اضطرب، لما يلحق ذلك المعذب من القلق والاضطراب. وقرئ مُنْزِلُونَ مخففاً ومشدداً منها من القرية آيةً بَيِّنَةً هي آثار منازلهم الخربة، وقيل: بقية الحجارة، وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض. وقوله: {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، أي عذابهم بسبب فسقهم، وكذلك كل أمة عذبها الله، فإنما عذبها على الفسوق والمعصية لكن بأن يقترن ذلك بالكفر الذي يوجب عذاب الآخرة <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة هود ، الآية : ٨١ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ٢٠٠ / ٣٢ ، تفسير معالم التنزيل للبغوي : ٥٥٦ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٧٤ ،  
والتحريير والتنوير : ١٢٠ / ١٢٥

(٣) ينظر :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٥٣ ،والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤ / ٣١٦ .

ومن دلالات الآية أن البشارة أثّر الرحمة ، والإنذار بالإهلاك أثّر الغضب ،  
فقدّم البشارة على الإنذار ، فرحمته سبقت غضبه <sup>(١)</sup> ، إذ جاء في الحديث النبوي  
الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ:  
((إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخُلُقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)) <sup>(٢)</sup>.

ومن دلالاتها أيضا أنه لا ينبغي أن تتعاشر الناس على المنكر، وأن لا يجتمعوا  
على الهزء والمناهي والتلهي <sup>(٣)</sup>.

وفي الآيات من الدلالة على ذم اللواط وقبحها في أي زمن من الأزمان، فهي  
كبيرة بالإجماع، ونص أهل العلم على أنها أشد حرمة من الزنا. وأنها محرمة عقلا  
وشرعا وطبعاً <sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٥ / ٥١.

(٢) صحيح البخاري: ٩ / ١٢٥. باب وكان عرشه على الماء ، رقم الحديث : (٧٤٢٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤ / ١٦٨.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٠ / ٣٦١.

## المبحث الرابع

### أهل القرية يمتنعون من إطعام الضيوف.

قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} الكهف: ٧٧.

هذه الآية هي بعض من قصة مليئة بالأسرار دارت فصولها بين نبي الله موسى - عليه السلام - والرجل الصالح في المكان الذي وعدهما الله عنده وهو مجمع البحرين في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} (٦٠) وما دار بعد اللقاء بينهما من حوار واستفهام ، ومن ثم طلب موسى - عليه السلام - من الرجل الصالح الاتباع له والتعلم منه مما علمه الله بقوله: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} (٦٦) ، بهذا الخطاب المليء بالأدب اللائق بالنبي، يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم الذي يحمل علما ليس هو العلم البشري وإنما هو جانب من العلم اللدني بالغيبي، أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها؛ ولذلك لم تكن طاقة لنبي الله موسى - عليه السلام - بالصبر على ما بدر من الرجل وتصرفاته ولو كان نبيا رسولا؛ لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة وإلا بقيت عجيبة تثير الاستكار؛ ولذلك خاطب العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدني موسى - عليه السلام - جازما بانك لن تستطيع صبرا على ما استراه مني ، وكيف تصبر على شيء لا تعلم خبره من خلال قوله تعالى: {قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} ، ولكن موسى - عليه السلام - يعزم على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته: {قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} ، فيزيد

الرجل الصالح توكيدا وبياناً، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها: {قَالَ: فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} فما كان موسى - عليه السلام - إلا أن يرضى بهذا الشرط ولذلك: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} <sup>(١)</sup>، أي بعد أن انطلق موسى - عليه السلام - والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها، حتى إذا أصاباها ركبا فيها، فلما ركباها، خرق العالم السفينة، قال له موسى - عليه السلام - : {أَخَرَقْتَهَا} بعد ما لَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ {لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} يقول: لقد جئت شيئا عظيما، وفعلت فعلا منكرا <sup>(٢)</sup>، لأن موسى - عليه السلام - كان ينكر الظلم، هنالك {قَالَ} الرجل لموسى - عليه السلام - : {أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} على ما ترى من أفعالي، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرا، قال له موسى - عليه السلام - : {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} يَعْنِي: ذَهَبَ مِنِّي ذِكْرُهُ {وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا} ، {تَرْهَقْنِي} مَعْنَاهُ: لَا تَكْلِفْنِي أَوْ لَا تَضِيقْ عَلَيَّ ، وَعَامِلْنِي بِالْيُسْرِ لَا بِالْعُسْرِ وَقَوْلُهُ: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ} المعنى: فانطلق موسى - عليه السلام - والرجل يسيران حتى لقيَا غلاماً فقتله الرجل. قيل: وجد غلاماً يلعبون في قرية من القرى، فأخذ غلاماً ظريفاً جميلاً، وضأاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، وقيل: رضخه بحجر، وقيل اقتطفه بيده والله أعلم، وقيل: كان اسمه جيسور. قال له موسى - عليه السلام - : {أَقْتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} أي بريئة.

(١) ينظر: في ظلال القرآن ٤ / ٢٢٧٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٨ / ٧٢.

وقيل معناها ليس لها إليك ذنب<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا شَاهَدَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هَذَا أَنْكَرَهُ أَشَدَّ مِنْ انكاره على خرق السفينة ، وَبَادَرَ فَقَالَ : {أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً}، أَيَّ صَغِيرَةٍ لَمْ تَعْمَلِ الْحِنْتَ، وَلَا حَمَلْتَ إِنَّمَا بَعْدُ، فَقَتَلْتَهُ؟! {بَغَيْرِ نَفْسٍ} أَيَّ: بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِهِ {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} أَيَّ: ظَاهِرِ النَّكَارَةِ، {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} فَأَكَّدَ أَيْضًا فِي التَّذْكَارِ بِالشَّرْطِ الْأَوَّلِ؛ فَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى - عليه السلام - : {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا} أَيَّ: إِنْ اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ {فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} أَيَّ: قَدْ أَعْذَرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وقد أخبرني الله بحسن حالك في غزارة علمك {فانطلقا} بعد قتله {حتى إذا أتيا أهل قرية} وهم أهل قَرْيَةٍ أَنْطَاكِيَّة<sup>(٢)</sup>.  
 وقيل: الأبله<sup>(٣)</sup>، فامتنعوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا وقرئ: يضيفوهما، يقال: ضافه إذا كان له ضيفا، وحققيقته: مال إليه ... وأضافه وضيفه: أنزله وجعله ضيفه<sup>(٤)</sup>،

(١) ينظر: جامع البيان: ١٨ / ٧٣، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي رَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ٣ / ٧٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٦ / ٤٤٢٩، والكشاف: ٢ / ٧٣٧.

(٢) مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام. موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وفي داخلها مزارع وبساتين. وانها بنتها انطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام. آثار البلاد وأخبار العباد: ١٥٠/١.

(٣) الأبله: بضم أوله وثانيه، وتشديد الهمزة وفتحها: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين (ت ٧٣٩هـ) دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ ١٨/١.

(٤) الكشاف: ٢ / ٧٣٧، تفسير القرآن العظيم: ٥ / ١٨٣.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (كانوا أهل قرية لثاماً)<sup>(١)</sup>، وقيل: شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ، عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة ؛ لأنه أدل على الذم، لأن مادة قرا تدور على الجمع الذي يلزمه الإمساك ؛ ثم وصفها ليبين أن لها مدخلاً في لؤم أهلها بقوله تعالى: {استطعما} <sup>(٢)</sup> .

{وَالِاسْتِطْعَامُ: طَلَبُ الطَّعَامِ. وَمَوْقِعُ جُمْلَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا كَمَوْقِعِ جُمْلَةٍ {خَرَقَهَا} وَجُمْلَةٍ {فَقَتَلَهُ}، فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ {إِذَا}، وَاضْهَارٌ لَفْظِ أَهْلُهَا دُونَ الْإِثْنَيْنِ بِضَمِيرِهِمْ بِأَنْ يُقَالَ: اسْتَطْعَمَاهُمْ، لِرِزَادَةِ النَّصْرِيحِ، تَشْنِيعًا بِهِمْ فِي لُؤْمِهِمْ، إِذْ أَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، وَذَلِكَ لُؤْمٌ، لِأَنَّ الضِّيَافَةَ كَانَتْ شَائِعَةً فِي الْأُمَمِ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِنَ الْمُوَاسَاةِ الْمُتَّبَعَةِ عِنْدَ النَّاسِ. وَيَقُومُ بِهَا مَنْ يُنْتَدِبُ إِلَيْهَا مِمَّنْ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ عَابِرُ السَّبِيلِ وَيَسْأَلُهُمُ الضِّيَافَةَ، أَوْ مَنْ أَعَدَّ نَفْسَهُ لِذَلِكَ مِنْ كِرَامِ الْقَبِيلَةِ فَإِبَابِيَةُ أَهْلِ قَرْيَةٍ كُلِّهِمْ مِنَ الْإِضَافَةِ لُؤْمٌ لِنِلْكَ الْقَرْيَةِ)<sup>(٣)</sup>. {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ} أي : وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط ويقع، يقال منه: انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت، وقوله عن الجدار يُريدُ، فالارادة هنا استعارة<sup>(٤)</sup>، لان جميع الأفعال التي حقها أن تكون للحي الناطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة وليس حقيقة ، أي لو كان مكان الجماد

(١) السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م : ١٠ / ١٦٥ ، رقم الحديث : (١١٢٤٧) .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢ / ١١٣-١١٤ ، والكشاف : ٢ / ٧٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٦ / ٧ .

(٤) ( الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: لقيت أسداً، وأنت تعني به الرجل الشجاع ) ، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م : ٢٠ / ١ .



إنسان لكان ممثلاً لذلك الفعل<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: {أَنْ يَنْقُضَ} ، أي يتفرق أبعاضه ويسقط من قضت الشيء ، أي كسرتة<sup>(٢)</sup> ، ( فعمل الرجل الصالح على هدمه، ثم قعد بينيه، فضجر موسى - عليه السلام - حينما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال: {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} أي قد استطعناهم فلم يطعمونا، وضمناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنيعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله )<sup>(٣)</sup> ، أي على إقامة الجدار {أجراً} نأكل به، عند ذلك لم يعترض الرجل الصالح عليه في هذه المرة لعدم ما ينكر فيها، وإنما ساق ما يترتب عليها من ثمرتها مساق العرض والمشورة ولكنه يتضمن صيغة السؤال ، وبعد أن سمع مقالة موسى -عليه السلام- {قال هذا} أي الوقت أو السؤال. ولما كان ذلك سبب الفراق أو محله، سماه به مبالغة<sup>(٤)</sup> فقال: {فراق بيني وبينك}<sup>(٥)</sup>، أي اني لا أصحبك بهد هذا وأخبرك بتفسير ما لم تصبر عليه وأنكرته عليّ {سَأُنَبِّئُكَ} أي: سأخبرك {بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} واكثرت عليّ النكير، ويحتمل وجهين: أحدهما: لم تستطع على المشاهدة له صبراً. الثاني: لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنه صبراً<sup>(٦)</sup>، {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} أجعلها ذات عيب {وكان وراءهم} أمامهم

(١) ينظر: جامع البيان: ١٨ / ٧٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣ / ٥٣٣.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت ٥٠٥ هـ) ، دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت: ١ / ٦٧٢.

(٣) جامع البيان: ١٨ / ٦٧.

(٤) ( الْمُبَالَاةُ: هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ وَصْفًا فَيَزِيدُ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ أَبْلَغُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ ) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ)

،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ،مؤسسة الرسالة - بيروت: ١ / ٨٥١.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٢ / ١١٦.

(٦) ينظر: النكت والعيون: ٣ / ٣٣١.

{ملك} ظالم وقيل: كافر {يأخذ كل سفينة} صالحة {غصبا} حين مرورهم على طريقه ،  
{وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا} فكرهنا {أن يرهقهما} يكلفهما {طغياناً وكفراً}  
ويحملهما حبه على أن يتبعاه ويديننا بدينه وكان الغلام كافراً {فأرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا  
خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً} صلاحاً {وأقرب رحماً} وأبرّ بوالديه وأوصل للرحم {وأما الجدارُ فكانَ  
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ} يعني: في تلك القرية {وكان تحته كنز لهما} من ذهبٍ  
وفضةٍ ولو سقط الجدار أخذ الكنز {فأراد ربك أن يبلغا أشدهما} أراد الله سبحانه أن  
يبقى ذلك الكنز إلى بلوغ الغلامين حتى يستخرجاه {وما فعلته عن أمري} أي: تلك  
الاعمال التي انكرت عليّ فعلها ، وانما انكشف لي من الله سبحانه علمٌ فعلت به ولم  
أعلم من عند نفسي <sup>(١)</sup>. {وَقِي هَذِهِ الْآيَاتُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ تَبَعَ لِلْعَالِمِ، وَلَوْ تَفَاوَتَتْ  
الْمَرَاتِبُ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي} فَهَذَا شَرْطٌ،  
وَهُوَ لَازِمٌ، وَالْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ، وَأَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوقَى بِهِ مَا التَزَمَهُ الْأَنْبِيَاءُ، أَوْ  
الْتَزَمَ لِلْأَنْبِيَاءِ، فَهَذَا أَصْلٌ مِنَ الْقَوْلِ بِالشُّرُوطِ وَازْتِبَاطِ الْأَحْكَامِ بِهَا، وَهُوَ يُسْتَدَلُّ بِهِ فِي  
الْإِيمَانِ وَغَيْرِهَا <sup>(٢)</sup>. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا أَنْتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا} قصد  
العموم ( إذْ لَمْ يَقُلْ: "اسْتَطَعَهُمْ" لِلإِشْعَارِ بِتَأْكِيدِ الْعُمُومِ وَأَنَّهُمَا لَمْ يَتْرُكَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا  
إِلَّا اسْتَطَعَاهُ وَأَبَى وَمَعَ ذَلِكَ قَابَلَهُمْ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ، وَفِيهِ أَيْضًا النَّتَبِيُّ عَلَى مَحَاسِنِ  
الْأَخْلَاقِ وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ <sup>(٣)</sup>. وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ شَرَّ الْقُرَى هِيَ الَّتِي لَا  
تُضَيِّفُ الضَّيْفَ وَلَا تَعْرِفُ لَابِنَ السَّبِيلِ حَقَّهُ <sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الوجيز للواحيدي : ٦٦٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي : ٣ / ٢٤١-٢٤٠ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٩٤ .

(٤) ينظر : النكت والعيون : ٣ / ٣٣١ .

وفي قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} دلالة على انتفاع الذرية والآل بصلاح الآباء ، إذ قال مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ<sup>(١)</sup>: (إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ بِصَلَاةِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ ، وَيُولَدُ وَلَدُهُ ، وَعِثْرَتُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَأَهْلُ دُوَيْرَاتٍ حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ فِيهِمْ)<sup>(٢)</sup>.

أما الامام السيوطي فقد استخرج من هذه القصة عدة استنباطات قائلا : (فيها أنه لا بأس بالاتخدام واتخاذ الرقيق والخادم في السفر واستحباب الرحلة في طلب العلم واستزادة العالم من العلم واتخاذ الزاد للسفر وأنه لا ينافي التوكل، ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازاً وتأديباً عن نسبتها إلى الله تعالى وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه في المرتبة وإعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه ما لا يحتمله طبعه، وتقديم المشيئة في الأمر، وأشتراط المتبوع على التابع وأنه يلزم الوفاء بالشرط وأن النسيان غير مأخوذ به وأن الثلاث اعتباراً في التكرار ونحوه وأنه لا بأس بطلب الغريب الطعام والضيافة وأن صنع الجميل لا يترك ولو مع اللئام وجواز أخذ الأجر على الأعمال، وأن المسكين لا يخرج عن المسكينة بكونه له سفينة أو آلة تكسب أو شيء لا يكفيه، وأن الغضب حرام وأنه يجوز إتلاف مال الغير وتعيبه لوقاية باقية كما المودع واليتيم، وإذا تعارض مفسدتان ارتكب الأخف وأن الولد يحفظ بصلاح أبيه وأنه يجب عمارة دوره وتحريم إهمالها إلى أن تخرب وأنه يجوز دفن المال في الأرض، وهذه القصة أصل في علم الحقيقة وأن المشرع لا ينكر ما جرى على مقتضاها واستدل بقوله: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي}<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد بن المنكدر هو : ابن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهُدَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ وَيُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مِنْ التَّابِعِينَ (ت ١٣٠ هـ) . : الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ : ١٨٨ .

(٢) ينظر : تفسير معالم التنزيل للبغوي : ٥ / ١٩٦ .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١ هـ) ، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م : ١٧١ .

## المبحث الخامس

### تقسيم غنائم أهل القرى.

قال الله تعالى : { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) } الحشر: ٧

هذه الآية متعلقة بما قبلها وهي قوله تعالى : {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} التي يذكر الله فيها المسلمين بأنه نصرهم على بني النضير، وكفاهم مشقة الصدام مع العدو ، إذ لم يكن فيها قتال بالمبارزة والمُصاولَةِ، بَلْ نَزَلَ بِأُولَئِكَ مِنَ الرُّعْبِ الَّذِي أَلْقَاهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ هَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ؛ وَلِهَذَا تَصَرَّفَ فِيهِ كَمَا شَاءَ، فَرَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْمَصَالِحِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} أَي: مَنْ بَنِي النَّضِيرِ {فَمَا أَوْجَفْتُمْ}، والإيجاف: سرعة السير والاجتهاد فيه {عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} والركاب: الإبل، {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَي: هُوَ قَدِيرٌ لَا يُغَالِبُ وَلَا يُمَانَعُ، بَلْ هُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، والفِيء: هو كُلُّ مَالٍ أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا إِيجَافٍ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ<sup>(١)</sup> ، وقيل: أنها الجزية،

(١) ينظر : جامع البيان: ٢٣ / ٢٧٤ ، والمحرم الوجيز : ٢٨٦/٥ ، وتفسير القرآن العظيم : ٨ / ٦٥ .

أو الخراج: أي خراج أهل القرى ، وقيل : الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة بحيث لا يلحق مغنمها فيها مشقة<sup>(١)</sup> .

وقد نقل القرطبي قول ابن أبي نجيح<sup>(٢)</sup> في الفيء: بانه (مَا رَجَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ عَفْوًا صَفْوًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَلَا إِجَافٍ، كَالصُّلْحِ وَالْجَزْيَةِ وَالْخَرَاجِ وَالْعُشُورِ الْمَأْخُودَةِ مِنْ تَجَارِ الْكُفَّارِ. وَمِثْلُهُ أَنْ يَهْرَبَ الْمُشْرِكُونَ وَيَتْرَكُوا أَمْوَالَهُمْ، أَوْ يَمُوتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَلَا وَارِثَ لَهُ )<sup>(٣)</sup> .

أما سبب نزول هذه الآية فهو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه -أن الله عز وجل أمر نبيه بالسير إلى قريظة والنضير، وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب يوجف بها ، فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد ، فكان من ذلك خيبر وفدك وفري عريية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عز وجل عذره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى}<sup>(٤)</sup>.

والقرى المذكورون في هذه الآية هم أهل الجزيرة العربية من الصفراء والينبع ووادي القرى، وغيرها التي تسمى قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النضير، ولم

(١) ينظر : جامع البيان : ٢٣ / ٢٧٦ ، والمفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط١، ١٤١٢ هـ: ٦٥٠ .

(٢) ابن أبي نجيح هو : عبد الله بن أبي نجيح النخعي مولى لآل الأحنس واسم أبي نجيح يسار وكنية عبد الله أبو يسار يروي عن عطاء وطاؤس روى عنه وزقاء بن عمر الشكري وأهل الحجاز مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ومائة. الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت ٣٥٤هـ) وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م : ٥ / ٧ .

(٣) والجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ١٤ .

(٤) ينظر : جامع البيان: ٢٣ / ٢٧٤-٢٧٦ .

يحبس من هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئاً بل أمضاها لغيره من المسلمين كونها في ذلك الوقت فتحت، واختلف الناس في صفة فتحها فقيل: عن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حكمه حكم خمس الغنائم، وليس في الآية نسخ على هذا التأويل، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك للمهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً. وقيل: كانت هذه القرى قد أوجف عليها، ولكن هذا حكم ما يوجف عليه، ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بآية الأنفال<sup>(١)</sup> فجعل فيها الخمس لهذه الأصناف وبقيت الأربعة الأخماس للمقاتلة، وآية سورة الحشر لم يكن فيها للمقاتلة شيء، وهذا القول يضعف، لأن آية الأنفال نزلت إثر بدر وقبل بني النضير وقبل أمر هذه القرى بسنة ونيف. وإذا كانت سورة الحشر نزلت بعد الأنفال، فمن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر، والفري في هذه الآية قرابة النبي صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة وعوضوا من الفية<sup>(٢)</sup>.

(وكان الفية يُخمس خمسة أخماس فكانت أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يشاء والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية وأما اليوم فما كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الفية يُصرف إلى أهل الثغور المترصدين للقتال في أحد قولي الشافعي رحمه الله)<sup>(٣)</sup>.

ولقد رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن الحق في الفية هو لجميع المسلمين وذلك حينما قرأ قوله تعالى : {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} حتى بلغ {لِلْفُقَرَاءِ وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} ، ثم قال: استوعبت هذه الآية

(١) قوله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} {الأنفال: ٤١}.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٥ / ٢٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٤

(٣) الوجيز للواحدى: ١٠٨٢.

المسلمين عامة، فليس أحد إلا له حق، ثم قال: لئن عشت لياتين الراعي وهو يُسير حُمُرَه نصيبه، لم يعرق فيها جبينه (١).

وَقَوْلُهُ: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} فَالدُّوْلَةُ اسْمٌ لِمَا يُتَدَاوَلُ مِنَ الْمَالِ، وَالدُّوْلَةُ اسْمٌ لِمَا يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَالِ، أَي: جَعَلْنَا هَذِهِ الْمَصَارِفَ لِمَالِ الْفَيِّءِ لِئَلَّا يَبْقَى مَأْكَلَةً يَتَغَلَّبُ عَلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيَعِيشُونَ بِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا وَتَصْبِحَ دَوْلَةٌ لَهُمْ، بِمَحْضِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَزْوَاجِ، وَلَا يَصْرِفُونَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَى الْفُقَرَاءِ (٢).

(وَقَوْلُهُ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} أَي: مَهْمَا أَمَرَكُم بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرٍّ، وَالتَّقْدِيرُ: فَافْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ مِنْ قِسْمَتِهِ لِمَنْ أَمَرْتُ بِهِ، عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: {وَمَا} أَي وَكُلِّ شَيْءٍ {آتَاكُم} أَي أَحْضَرُ إِلَيْكُمْ وَأَمَكْنَكُمْ مِنْهُ {الرَّسُولُ} أَي الْكَامِلُ فِي الرِّسَالَةِ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ {فَخُذُوهُ} أَي فَتَقَبَّلُوهُ تَقَبُّلَ مَنْ حَازَهُ {وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ} مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ {فَانْتَهُوا} لِأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى وَلَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَهُ بِهِ اللَّهُ رَبُّهُ، فَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ هَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ كَمَا وَرَدَ (الْقُرْآنُ صَعِبَ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ مَيْسَرٌ عَلَى مَنْ طَلَبَهُ وَتَبَعَهُ) (٣).

وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (أَي وَاتَّقُوا اللَّهَ فَامْتَنِلُوا أَوَامِرَهُ، وَاتْرَكُوا نَوَاهِيَهُ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَأَبَاهُ، وَارْتَكَبَ مَا عَنْهُ زَجْرَهُ وَنَهَاهُ، وَرَسُولُهُ تَرْجَمَانُ عَمَّا يَرِيدُهُ اللَّهُ لَخَيْرِ عِبَادِهِ وَسَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (٤).

(١) ينظر : جامع البيان : ٢٣ / ٢٧٦ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٩ / ٥٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم : ٨ / ٦٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٨ / ٦٧ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور : ١٩ / ٤٣٣ .

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت : ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده بمصر ، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ٢٨ / ٤٠

وخلاصة القول ما أفاءه الله: على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فله ولرسوله، يُصْرَفُ في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واليتامى، سواء كانوا الأطفال الفقراء الذين مات آبائهم، أو والمساكين، وهم أهل الحاجة والفقر، أو ابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نَفِدَتْ نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكًا متداولًا بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم من شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهوا عنه، واتقوا الله بامتنال أوامره وترك نواهيه. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه<sup>(١)</sup>.

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَالٍ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الشَّرْكِ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ عَنُوءَةً وَإِنَّمَا أُخِذَ صُلْحًا أَنَّهُ لَا يُوضَعُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَيُصْرَفُ عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي يُصْرَفُ فِيهَا الْخَرَجُ وَالْجَزِيَّةُ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَا صَارَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ حِينَ لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} قال السيوطي \_ رحمه الله: فيه وجوب امتثال أوامره ونواهيه (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٣)</sup>. والآية أصل في وجوب العمل بالسنة: قولاً أو فعلاً أو تقريراً<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ٢٩٠/١.

(٢) أحكام القرآن أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ: ٣١٨ / ٥.

(٣) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل: ٢٥٩.

(٤) شرح تنقيح الفصول: ٢٩٠/١.



## الخاتمة

وبعد هذا الجهد المتواضع الذي بذلته في هذا الموضوع ،لابد لي من أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها :

١. القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وهي أيضا كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذها الناس قرارا، ويقع على المدن وغيرها.
٢. جاء ذكر قصص اهل القرى في القرآن الكريم لتكون لنا نحن أمة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - موعظة وأعتبار بما أصابها نتيجة مخالفتها لأوامر الله وارتكابها الفواحش.
٣. بعث الله النبيين من المدن دون أهل البوادي ، لِأَنَّ أَهْلَ الْمَدَنِ أَعْقَلَ وَأَحْلَمَ ، وأفضل وأعلم ، وقيل: إِنَّمَا لَمْ يَبْعَثْ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي لِغِلْظِهِمْ وَجَفَائِهِمْ وقسوتهم.
٤. في الآيات إشارة الى أن المدن مواضع الحكمة، والبوادي مواطن لظهور الكلمة.
٥. نستنتج من قصة قوم لوط أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَعَاشَرَ النَّاسُ عَلَى الْمُنْكَرِ، وَأَنْ لَا يَجْتَمِعُوا عَلَى الْهَزْءِ وَالْمَنَاهِي والتلهي.
٦. دلت الآيات على أن الأمن من مكر الله تعالى، والانغماس في المعاصي إتكالاً على عفو الله تعالى كفر.
٧. إن إنعام الله على الكافرين في دنياهم من الصحة والرخاء ليس دليلا على الرضى عنهم وإنما هو استدراج لهم .
٨. قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} فيه وجوب امتثال أوامره ونواهيه -صلى الله عليه وسلم-.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## المصادر والمراجع

### ❖ القرآن الكريم

١. الإكليل في استنباط التنزيل ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٢. أحكام القرآن أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٣. آثار البلاد وأخبار العباد ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ) ، دار صادر - بيروت.
٤. بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) .
٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت، ١٤٢ هـ.
٦. البلاغة العربية عبدالرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي ( المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية : ٥٤٨/١٠.
٨. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م

٩. التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق  
: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط ١ ١٤٠٣هـ -  
١٩٨٣م .
١٠. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن  
محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق:  
أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز الفاروق الحديثه -  
مصر/ القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
١١. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم  
الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر  
والتوزيع ، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٢. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت : ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
١٣. التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د.  
محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق ،  
ط ١ ، ١٤١٠هـ .
١٤. الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو  
حاتم، الدارمي، البُسْتِي (ت ٣٥٤هـ) وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ،  
دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، ط ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب  
الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد  
المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط ١، ١٤٢٢ هـ  
- ٢٠٠١ م .

١٦. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م .
١٧. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
١٨. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
١٩. روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
٢٠. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ١٩٩٨ م .
٢١. سنن النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٢٢. شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
٢٣. شرح مسند أبي حنيفة ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ) ، تحقيق: الشيخ خليل محيي الدين الميس ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

٢٤. شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) ، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٦. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (ت ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
٢٧. غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد ، تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٩٧ .
٢٨. غريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ .
٢٩. غريب الحديث لابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، تحقيق : د. عبدالمعطي أمين قلعجي .
٣٠. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
٣١. الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر .

٣٢. في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق - بيروت - القاهرة ، ط ١٧ - ١٤١٢ هـ .
٣٣. القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٣٤. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ - ١٤٠٧ هـ .
٣٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
٣٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي .
٣٧. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) ، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤١٥ هـ .
٣٨. اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٣٩. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، دار صادر - بيروت .

٤٠. لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، ط ٣ .
٤١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت
٤٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ
٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ.
٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية - بيروت .
٤٦. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفى الدين (ت ٧٣٩هـ) دار الجيل، بيروت، ط ١ ، ١٤١٢ هـ
٤٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .

٤٨. معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،  
( ت: ٣١١هـ ) ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٤٩. مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي  
الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث  
العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ .
٥٠. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب  
الأصفهاني ( ت ٥٠٢هـ ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار  
الشامية - دمشق بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
٥١. مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام  
محمد هارون ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
٥٢. المنهاج الواضح للبلاغة ، حامد عوني ، المكتبة الأزهرية للتراث .
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي  
بن أبي بكر البقاعي ( ت ٨٨٥هـ ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
٥٤. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري  
البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد  
المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
٥٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون  
علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي  
القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ( ات : ٤٣٧هـ ) ، تحقيق : مجموعة  
رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف  
أ.د. : الشاهد البوشيخي ، جامعة الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٥٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي  
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ،  
دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .